المحاضرة السابعة: البيئة والمدرسة والممارسات البيداغوجية

- مقدمة:

تعد المدرسة الفضاء الاستراتيجي الذي تتشكل فيه ملامح المستقبل، وهي لا تعمل بمعزل عن البيئة المحيطة بها، بل تعتبر جزءا لا يتجزأ من منظومتها الكبرى، إن التحديات المعاصرة فرضت ضرورة إعادة النظر في الممارسات البيداغوجية، لتنتقل من التلقين التقليدي إلى نهج تفاعلي يستلهم من البيئة موارد تعليمية غنية، ويزرع في المتعلم وعيا بيئيا مستداما. وعليه نطرح الأسلة التالية: كيف يمكن للمناخ المدرسي والبيئة الخارجية أن يوجها الطرق التدريسية؟ وإلى أي حد تساهم البيداغوجيا الحديثة في جسر الهوة بين التلميذ ومحيطه الطبيعي والاجتماعي؟

1. المدرسة كمؤسسة للتربية البيئية:

تعد المدرسة مؤسسة تعليمية وتربوية محورية في تنمية الوعي البيئي وغرس قيم الاستدامة لدى الأجيال الناشئة، فالمدرسة ليست مجرد مكان لنقل المعرفة، بل هي بيئة متكاملة تشكل شخصية الطالب وتؤثر في سلوكات واتجاهاته، يمكن للمدرسة أن تلعب دورا حاسما في التربية البيئية من خلال:

- **تضمين المناهج:** دمج مفاهيم التربية البيئية والتنمية المستدامة في مختلف المواد الدراسية، وليس في مواد العلوم.

مثال: تحليل تأثير التغير المناخي على الحضارات القديمة في حصة التاريخ، أو دراسة التنوع البيولوجي في حصة الجغرافيا.

- **الأنشطة اللاصفية:** تنظيم الأنشطة البيئية مثل حملات التنظيف، وزراعة الأشجار، وإنشاء حدائق مدرسية، والرحلات الاستكشافية للطبيعة.

مثال: زراعة أشجار مثمرة في فناء المدرسة، أو إنشاء حديقة نباتات طبية صغيرة يديرها الطلاب(عيشاوي،2021).

- **النموذج والممارسة:** أن تكون المدرسة نفسها نموذجا للممارسات المستدامة، مثل ترشيد استهلاك الطاقة والمياه، وإدارة النفايات، واستخدام المواد الصديقة للبيئة.

مثال: تركيب ألواح شمسية لتوليد الكهرباء جزئيا للمدرسة، أو استخدام نظام لجمع مياه الأمطار لري الحدائق.

- **الشراكة المجتمعية:** التعاون مع أولياء الأمور، والمجتمعات المحلية، والمنظمات البيئية لتعزيز الوعي البيئي خارج أسوار المدرسة.

مثال: تنظيم فعاليات توعية بيئية مفتوحة للجمهور بالتعاون مع جمعيات حماية البيئة المحلية، مثل ورش عمل حول الزراعة المنزلية.

2. الممارسات البيداغوجية في التربية البيئية:

تتطلب التربية البيئية ممارسات بيداغوجية مبتكرة وفعالة تتجاوز الأساليب التقليدية. من أبرز هذه الممارسات:

- **التعلم القائم على المشاريع:** إشراك الطلاب في مشروعات بيئية عملية، مثل تصميم حملة توعية حول إعادة التدوير، أو دراسة تأثير التلوث على نظام بيئي محلي.

مثال: تطوير حملة توعية مجتمعية حول أهمية فرز النفايات، تتضمن تصميم ملصقات، وعروض تقديمية، وتنظيم فعاليات.

- **التعلم التعاوني:** تشجيع الطلاب على العمل في مجموعات لحل المشكلات البيئية، مما يعزز مهارات التواصل والعمل الجماعي.

مثال: تقسيم الطلاب إلى مجموعات لدراسة مشكلة بيئية معينة في مجتمعهم(مثل تلوث نهر قريب)، ثم تقديم حلول جماعية لهذه المشكلة.

- **التعلم التجريبي:** توفير فرص للطلاب للتفاعل المباشر مع البيئة، من خلال الزيارات الميدانية، والتجارب العلمية، والمشاركة في الأنشطة البيئية.

مثال: زيارة محطة معالجة المياه لفهم كيفية تنقية المياه، أو إجراء تجارب علمية بسيطة لقياس جودة التربة في حديقة المدرسة.

- **استخدام التكنولوجيا:** توظيف الأدوات الرقمية، والمحاكاة، والألعاب التعليمية لزيارة تفاعل الطلاب مع المحتوى البيئي.

مثال: استخدام تطبيقات الواقع الافتراضي لاستكشاف النظم البيئية المختلفة(مثل الغابات المطيرة أو الشعاب المرجانية)، أو تصميم ألعاب تعليمية حول إعادة التدوير.

- **التعليم متعدد التخصصات**: ربط مفاهيم التربية البيئية بمواد دراسية أخرى مثل التاريخ، والجغرافيا، واللغة، والفنون، لإظهار الترابط بين البيئة ومختلف جوانب الحياة.

مثال: كتابة مقال عن تأثير التغير المناخي على الحضارات القديمة في حصة اللغة العربية، أو رسم لوحات فنية تعبر عن جمال الطبيعة في حصة الفنون(براهيمي،2018).

3. اقتراح أنشطة بيئية يمكن تطبيقها في الوسط المدرسي:

يمكن للمدارس تطبيق مجموعة واسعة من الأنشطة البيئية لتعزيز التربية البيئية، منها:

- **نادي البيئة:** إنشاء ناد بيئي للطلاب لتنظيم الأنشطة والفعاليات البيئية داخل المدرسة وخارجها.

مثال: المشاركة في فعاليات بيئية وطنية أو دولية، مثل يوم الأرض أو حملات التشجير .

- **حديقة المدرسة:** زراعة حديقة مدرسية صغيرة لتعليم الطلاب مبادئ الزراعة المستدامة، وأهمية النباتات، والتنوع البيولوجي.

مثال:زراعة الخضروات والفواكه العضوية، واستخدام السماد العضوي المصنوع من بقايا الطعام في المدرسة.

- **حملات التوعية:** تنظيم حملات توعية حول قضايا بيئية محددة(مثل ترشيد استهلاك المياه) من خلال الملصقات، والعروض التقديمية، والمسرحيات.

مثال: إعداد مسرحية قصيرة حول أهمية إعادة التدوير وعرضها على طلاب المدرسة وأولياء الأمور.

- **يوم البيئة:** تخصيص يوم في السنة للاحتفال بالبيئة وتنظيم فعاليات متنوعة مثل ورشة العمل، و المسابقات، والمعارض البيئية.

مثال: عرض أفلام وثائقية عن البيئة، دعوة خبراء بيئيين لإلقاء محاضرات حول قضايا بيئية معاصرة.

- **برامج إعادة التدوير:** تطبيق برامج لإعادة تدوير الورق والبلاستيك والمعادن داخل المدرسة، وتوعية الطلاب بأهمية هذه العملية.

مثال: وضع صناديق فصل النفايات في الفصول والممرات،وتنظيم حملات لجمع النفايات القابلة للتدوير.

- **المراقبة البيئية:** إشراك الطلاب في مراقبة جودة الهواء أو الماء في محيط المدرسة، وتحليل البيانات، وتقديم المقترحات لتحسين الوضع(علان،2024).

مثال: استخدام أجهزة استشعار بسيطة لقياس مستوى تلوث الهواء في ساحة المدرسة، أو عينات من المياه وتحليلها في المختبر.

- **الخاتمة:**

خلاصة القول، إن النجاح التربوي رهين بقدرة المدرسة على التحول إلى بيئة حاضنة للابتكار، حيث تتناغم الممارسات البيداغوجية مع متطلبات العصر وتطلعات المجتمع. إن دمج البعد البيئي في صلب العمل التربوي ليس مجرد ترف فكري، بل هو ضرورة حتمية لإعداد جيل يقدر قيمة محيطة ويمتلك الكفايات اللازمة للتعامل معه بمسؤولية، فالمدرسة الناجحة هي التي تجعل من بيئتها فصلا دراسيا مفتوحا، ومن بيداغوجيتها جسرا يربط المعرفة بالواقع المعيش.